

الوجود العثماني في الجزائر ودوره في صد الحملة الإسبانية الصليبية
(1492 - 1830)

**The Ottoman Presence in Algeria and its role in repelling the
Spanish Crusade (1492 – 1830)**

قدور شرقي براهيم^{*1}

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)

k.cherkibrahim@univ-chlef.dz

تاريخ الارسال: 2025/11/22 تاريخ القبول: 2026/03/08 تاريخ النشر: 2026/06/10

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية للحديث عن تداعيات الوجود العثماني بالجزائر، والذي تزامن مع الحملة الإسبانية على الجزائر أواخر القرن الخامس عشر، ومطلع القرن السادس عشر، مستغلة في ذلك سقوط غرناطة بالأندلس عام 1492م، وكذا سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي كانت تمرّ بها الجزائر خلال تلك الفترة.

انطلاقاً مما تقدم، يحاول هذا البحث الإجابة عن الإشكالية المتحورة، حول كيفية قراءة وتحليل تداعيات الوجود العثماني بالجزائر بعد صدّ الحملة الإسبانية الصليبية، من خلال استخدام المنهج التاريخي، والمنهجين: الوصفي والتحليلي، مع الاعتماد على الاقتراب النسقي.

لقد استطاعت الجزائر بفضل عروج وخير الدين، وبعد الانضمام تحت لواء السلطنة العثمانية، من الوقوف سداً منيعاً أمام الحملة التي قادها الإسبان على الجزائر أواخر القرن الخامس عشر، وطوال القرن السادس عشر، حيث تمكّنت من تحرير مدنها وأراضيها من الاحتلال الإسباني، كما كسرت أطماعه المادية والدينية، وبالتالي المحافظة على هويتها العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: تداعيات؛ الوجود العثماني؛ الجزائر؛ الحملة الإسبانية؛ الصليبية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research paper seeks to discuss the repercussions of the Ottoman presence in Algeria, which coincided with the Spanish campaign against Algeria in the late fifteenth century and the beginning of the sixteenth century, taking advantage of the fall of Granada in Andalusia in 1492 AD, as well as the poor political, economic, and social conditions that Algeria was experiencing during that period.

Based on the above, this research attempts to answer the evolving question of how to read and analyze the repercussions of the Ottoman presence in Algeria after repelling the Spanish Crusades, By using the historical method, descriptive and analytical methodology, relying on a systematic approach.

Thanks to Aruj and Khair ad-Din, and after joining the Ottoman Empire, Algeria was able to stand as a solid barrier against the campaign led by the Spanish against Algeria in the late fifteenth century and throughout the sixteenth century. Algeria was able to liberate its cities and lands from Spanish occupation, and to break its material and religious ambitions, thus preserving its Arab and Islamic identity.

Keywords: Repercussions; Ottoman Presence; Algeria; Spanish campaign; Crusades.

1. مقدمة:

لقد شهدت بلدان المغرب العربي عبر محطاتها التاريخية العديد من الصراعات والحملات الاستعمارية، كان من جملتها الحملة الصليبية التي قادها الإسبان أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، مستغلين في ذلك ارتداد وضع المسلمين في الأندلس، بعد سقوط غرناطة عام 1492م، وكذا الانقسام السياسي، والتدهور الاقتصادي والاجتماعي، الذي أصاب بلدان المغرب.

تعتبر الجزائر من بين بلدان المغرب العربي، التي ذاقت ويلات الحملة الإسبانية الصليبية، انطلاقاً من الأساليب الوحشية التي مارسها الإسبان على السكان المسلمين، أو اعتباراً بالسياسات التي شرعها هؤلاء المحتلون، من أجل إخضاع المدن والشواطئ الجزائرية. الأمر الذي فرض على الجزائريين الاستنجاد بعروج وخير الدين، لاستنقاذهم من هذا الخطر الإسباني.

إن الوجود العثماني بالجزائر، ودوره في صدّ الحملة الإسبانية، هو من بين المواضيع البحثية التي لا تزال تكتسي أهمية بالغة في الوسط العلمي لدى المختصين والمهتمين. ونظراً لأهمية هذا الموضوع، ارتأى هذا البحث أن يعالج الإشكالية التالية: كيف يمكن قراءة وتحليل الوجود العثماني بالجزائر في إطار صدّ الحملة الإسبانية الصليبية؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، وهي:

- كيف كانت أوضاع الجزائر قبل الحملة الإسبانية الصليبية؟

- ما مضمون الصراع الإسباني العثماني على الجزائر؟

- ما أهمية وتداعيات الوجود العثماني بالجزائر؟

للإجابة على الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية، فقد تم صياغة فرضيتين اثنتين:

- استغل الإسبان ضعف دول المغرب العربي وكذا سقوط غرناطة، للقيام بحملتهم الصليبية ضد الجزائر، خلال أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر.

- لولا الوجود العثماني بالجزائر ودوره في صدّ الحملة الإسبانية الصليبية، لما استطاعت الجزائر من المحافظة على إسلامها وعروبها.

اعتمد هذا البحث على ثلاثة مناهج، المنهج التاريخي، المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، حيث وُظِفَ المنهج التاريخي لعرض أهم الأحداث التاريخية التي مرّت بها الجزائر غداة الحملة الإسبانية. أما المنهج الوصفي، فجاء لتوصيف مضمون الصراع الإسباني العثماني على الجزائر، وأما المنهج التحليلي، فتم اعتماده في تحليل تداعيات الوجود العثماني على الجزائر. كما تم استخدام الاقتراب النسقي، لاستقراء مختلف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي اكتنفت الصراع الإسباني العثماني على الجزائر.

عند استقراء مختلف الدراسات التي عالجت موضوع الوجود العثماني بالجزائر، كصلاح العقّاد في كتابه "المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر"، أو عبد الرحمان بن محمد الجيلالي في كتابه "تاريخ الجزائر العام 2-"، أو عزيز سامح التّري في كتابه "الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية"، نجد أنّها تطرح تصوراً عاماً، في مدى ارتباط ذلك بالحملة الإسبانية الصليبية، ولكنّها تغفل عن تعداد أهم المعطيات والأمثلة، التي تؤكد صحة هذه العلاقة من جهة، وإيجابية هذا الوجود من جهة أخرى، بناءً على مجموعة من التداعيات، التي سيتناولها هذا البحث.

تضمنت خطة البحث محورين اثنين، إذ يتناول المحور الأول، الصراع الإسباني والعثماني على الجزائر، أما المحور الثاني، فيستعرض واقع الوجود العثماني بالجزائر.

2. الصراع الإسباني والعثماني على الجزائر

يتناول هذا المحور مسألتين مهمتين، تتعلق المسألة الأولى، بالحديث عن أوضاع الجزائر غداة الحملة الإسبانية، أما المسألة الثانية، فتستعرض الحملة الإسبانية الصليبية وخلفية الوجود العثماني بالجزائر.

1.2 أوضاع الجزائر غداة الحملة الإسبانية:

شهدت دول المغرب العربي أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن العشرين ضعفاً داخلياً، إذ افتقرت سياستها إلى الوحدة والتنظيم الشامل والقيادة الحكيمة⁽¹⁾، فانقسم المغرب العربي في هذه الفترة إلى ثلاث دول، الحفصيين في تونس، المرينيين في المغرب، والزيانيين في الجزائر⁽²⁾، ولقد ساعدت الفوضى على هذا التفكك السياسي، وبخاصة في المغرب الأوسط (الجزائر)⁽³⁾.

لقد عاش المغرب انحطاطاً سياسياً وعسكرياً وتدهوراً اقتصادياً في نهاية القرن الخامس عشر، تمثل في ضعف الحكم الحفصي في الشرق-الأدنى-، لعدم قدرته على فرض السيادة في المناطق التي يحكمها، بالإضافة إلى انحطاط الحكم في المغرب الأقصى، رغم تمتعه بجانب من القوى السياسية والعسكرية، وغياب حكم سياسي مركزي قوي في المغرب الأوسط (الجزائر)، بسبب توزيع سلطته بين مجموعة من الكيانات السياسية المستقلة⁽⁴⁾. حيث شهدت الجزائر في أواخر عهد الدولة الزيانية انحطاطاً وضعفاً، تمثل في صراع أمرائها على العرش، ولم يبق لهذه الدولة من نفوذ، عدا مدينة تلمسان وبعضاً من أجزاء المناطق الغربية. وقد انفردت كل مقاطعة من مقاطعاتها بالسلطة، فالصحراء ومنطقة الأوراس، والشلف وتونس ومليانة وغيرها من المدن الجزائرية، كوّنت لنفسها جمهوريات مستقلة، وأضحت مدينة الجزائر تحت سلطة الثعلبية، والقبائل الكبرى في حكم زاوية بلقاضي، والقبائل الصغرى في قبضة بني عباس، وأصبحت بجاية تبعا للحكم الحفصي⁽⁵⁾.

¹. أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800 - 1830، 2011، ص 9.

². عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، 2002، ص 74.

³. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، 1969، ص 15.

⁴. جون بابتست وولف، الجزائر وأوروبا 1500 - 1830، 2009، ص ص 23 - 24.

⁵. عمار عمورة، المرجع السابق الذكر، ص 88.

2.2 الحملة الإسبانية الصليبية وخلفية الوجود العثماني بالجزائر:

إن الحملة الصليبية التي قادها الإسبان أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر في الشمال الإفريقي، وبالأخص في الجزائر، كانت مُحَمَّلة بالتعصب الديني، من خلال نشر المسيحية، ومحاربة الإسلام، واحتلال الموانئ⁽¹⁾. بالإضافة إلى تحقيق المصالح المادية والرغبة في النهب والتفتيل⁽²⁾. وجعل مدن الجزائر مدناً إسبانية مسيحية، تغطي نفقاتها الضرائب المفروضة على السكان المحليين⁽³⁾.

إذ بعد سقوط غرناطة على يد الإسبان في جانفي 1492م⁽⁴⁾، ومبادرة العديد من أهلها بالهجرة إلى المغرب⁽⁵⁾، شرع الإسبان في ملاحقة المسلمين الفارين إلى بلدان الشمال الإفريقي، الإفريقي، وشنوا غاراتهم على السواحل الجزائرية، فاستولوا على العديد من مدنها الساحلية، كالمرسى الكبير في عام 1505م، وهران عام 1509م، وبجاية في عام 1510م⁽⁶⁾. ووافقت كلاً من دلس، شرشال، تنس، ومستغانم عام 1511م، على دفع الإتاوة لبيدرو نفارو (Pedro NAVARO)⁽⁷⁾. كما سلّم أعيان مدينة الجزائر للجانب الإسباني عام 1511م، أكبر جزرهم الصخرية (اسطفلة)، والتي صار يطلق عليها فيما بعد، باسم صخرة الجزائر (PENONDARGEL) لتكون معقلاً لهم، وحرساً لتجارهم، وضماناً لحرية مواصلتهم البحرية، ومُستخدماً لمدافعهم⁽⁸⁾.

عندما أُجبرت الدولة الزيانية بعقد الصلح مع الإسبان في عام 1512م، والاعتراف له بالاستيلاء على الموانئ الجزائرية، لم يجد سكان الجزائر من وسيلة سوى الاستنجاد بالأخوين -التركيبين- عروج وخير الدين، لإنقاذهم من الاحتلال الإسباني، فالتحق هذان

¹. حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. 2008، ص ص 123 - 124.

². شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى. 1983، ص 323.

³. حنيفي هلايلي، المرجع السابق الذكر، ص 125.

⁴. مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ب ت ن، ص 19.

⁵. ماهر محمد حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا. 1986، ص 572.

⁶. أرزقي شويتام، المرجع السابق الذكر، ص 9.

⁷. شارل أندري جوليان، المرجع السابق الذكر، ص 324.

⁸. توفيق أحمد المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492 - 1792. ب ت ن، ص 127.

الأخوان بالجزائر، وبدءا مهمتهما في تحرير السواحل الجزائرية، بدءاً من مدينة بجاية عام 1512 م⁽¹⁾، الجزائر عام 1516 م، ثم تلمسان عام 1518 م⁽²⁾.

على إثر وفاة عروج بمدينة تلمسان في عام 1518 م⁽³⁾، في إحدى المعارك التي خاضها ضد الجيش الإسباني، رأى خير الدين، أنه من الواجب الحصول على تأييد سكان الجزائر وإقناعهم بأهمية الانضمام تحت لواء السلطنة العثمانية، للاستعانة بها على مواجهة الخطر الإسباني في حوض البحر الأبيض المتوسط⁽⁴⁾، والدفاع عن حوزة الإسلام⁽⁵⁾.

بعد المطالبات الطوعية لأهالي الجزائر، لاستنقاذهم من الضربات الإسبانية⁽⁶⁾، انضمت الجزائر رسمياً للولاية العثمانية عام 1518 م، في عهد السلطان التركي سليم الأول⁽⁷⁾. عندئذٍ شهدت الجزائر صراعاً بين قوتين صاعدتين، متمثلة في المملكة الإسبانية والدولة العثمانية⁽⁸⁾.

عندما عُيّن خير الدين حاكماً للجزائر⁽⁹⁾. وقدم له السلطان العثماني المساعدات الحربية والعسكرية⁽¹⁰⁾، حرّر خير الدين كلاً من تنس عام 1520 م⁽¹¹⁾، قسنطينة والقل عام 1521، عنابة عام 1522 م، ثم متيجة والقبائل والحضنة عام 1525 م، ثم مدينة الجزائر عام 1526، والجزر الموالية لمينائها عام 1529 م، وقام بطرد الإسبان. فلم يأت عام 1534 م، حتى تمكن خير الدين من بسط نفوذه على الجزائر⁽¹²⁾، والتصدي للهجمة الصليبية الموجهة نحوها⁽¹³⁾.

¹ .عمار عمورة، المرجع السابق الذكر، ص 88 - 89.

² .عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. 1997، ص 53.

³ . Jules DUVAL, *l'Algérie: Tableau Historique, Descriptif et Statistique, avec une carte carte de la colonisation Algérienne*. 1859, p.29.

⁴ .عمار بوحوش، المرجع السابق الذكر، ص 53 - 54.

⁵ .عزيز سامح التّ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية. 1989، ص 72.

⁶ .حنيفي هلايلي، المرجع السابق الذكر، ص 126.

⁷ .صلاح العقّاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى. 1993، ص 20.

⁸ .جون بابتست وولف، المرجع السابق الذكر، ص 24.

⁹ .نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني. ب ت ن، ص 69.

¹⁰ .عزيز سامح التّ، المرجع السابق الذكر، ص 72 - 73.

¹¹ .المرجع نفسه، ص 78.

¹² .عمار عمورة، المرجع السابق الذكر، ص 90 - 91.

¹³ .بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470 - 1547 م. 1986 م، ص 172.

واستطاع صالح رايس من تحرير بجاية، وحسن بن خير الدين من تحرير مستغانم، كما دافع حسن آغا عن مدينة الجزائر العاصمة، أثناء الغارة التي شنها شارلكان عام 1541، واستطاع محمد عثمان من هزيمة الإسبان، عامي 1783 و 1784، عندما قاموا بغارة على العاصمة، وطاردتهم إلى وهران، ثم بعد ذلك، تمكن الداوي حسن وباي معسكر محمد بن عثمان الكبير، من إخراج الإسبان نهائياً من وهران⁽¹⁾ عام 1792 م⁽²⁾.

3. واقع الوجود العثماني بالجزائر

يعالج هذا المحور قضيتين اثنتين، تتعلقان بتداعيات وأهمية الوجود العثماني بالجزائر.

1.3 تداعيات الوجود العثماني بالجزائر:

يمكن إجمال تداعيات الوجود العثماني بالجزائر في مجموعة من المستويات، وهي:

أ- على المستوى السياسي والاقتصادي:

اتخذ العثمانيون من القَصَبَة بمدينة الجزائر مقراً لحكمهم، كما سعوا إلى أن يكون حكمهم قائماً على مبادئ معتدلة، تتحقق فيه مصالح المسلمين، حيث سهرت سلطة السيادة على تنفيذ الأحكام الصادرة من السلطتين التشريعية والقضائية، وجمع الإيرادات العامة ودفع أجور موظفي الدولة، والحفاظ على الطرقات والجسور، الحصون والغابات، وإعانة الأرامل واليتامى والفقراء⁽³⁾.

مثل العهد الأول من الحكم العثماني 1518 - 1587 م بالجزائر أزهى العصور، حيث توحدت الجزائر سياسياً، وامتازت إدارتها، وكثر عمرانها، وانتظم قطاعها البحري⁽⁴⁾. كما أصبحت تمتلك أسطولاً بحرياً قوياً وكبيراً، استخدمته في مقاومة القرصنة الأوروبية والإسبانية، وأرغمت الدول الأوروبية على دفع الإتاوات، مقابل أن تضمن مراكبها الأمن والسلام، غرب حوض البحر المتوسط، بالإضافة إلى مشاركتها في توجيه مختلف الأحداث، التي كانت تقع في هذه المنطقة⁽⁵⁾.

¹ مولود قاسم نايت قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830. ص 300 - 301.

² عمار عمورة، المرجع السابق الذكر، ص 101.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، 2006، ص 70 - 72.

⁴ مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 - 1830، 2013، ص 418.

⁵ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر. الجزء الثاني: الجزائر الحديثة، 2009 م، ص 24.

كما شهد الاقتصاد الجزائري خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر انتعاشا اقتصاديا، بفضل مساهمة المهاجرين الأندلسيين في زيادة إنتاج الصناعة والزراعة والتجارة⁽¹⁾. وخلال الفترة الممتدة ما بين 1671 - 1830، والتي عُرفت بعهد الدايات⁽²⁾، استقلت الجزائر في إدارة شؤونها عن السلطنة العثمانية، بعد أن صارت السيادة المطلقة في السلطة لصالح الدايات، ولم يُعُد للباب العالي إلا وظائف شرفية⁽³⁾. كـ"تقديم فروض الطاعة للسلطان باعتباره الخليفة الشرعي للمسلمين وتبادل الهدايا وإرسال الإعانات وجلب المتطوعين الأتراك للعمل في قرى الأرياف"⁽⁴⁾.

ب- على مستوى القضاء:

لقد "كانت السلطة القضائية- في العهد العثماني بالجزائر- تشتمل على محكمتين، ومكونة من قاضيين ومفتيين أحدهما مالكي والآخر حنفي،... الحنفي وهو الذي يتولى الرئاسة لأن الباب العالي هو الذي يعين رئيس الدولة، والباب العالي حنفي، وقصره يعتبر محكمة عليا. وتنظر هذه السلطة -القضائية- في القضايا الإجرامية والتأديبية والجنائية، والمدنية والحكومية، وتنظر كذلك في الخلافات التي قد تقع بين رئيس الدولة وأي شخص آخر. وهذه المحاكم مستقلة عن السلطان، وحكمها لا رجعة فيه"⁽⁵⁾.

إذ كانت محاكم المسلمين الأتراك تأخذ بالمذهب الحنفي، ومحاكم المسلمين الجزائريين بالمذهب المالكي، كما أن هناك محاكم خاصة باليهود ومحاكم خاصة بالنصارى. أما فيما يخص القضايا المدنية، كالزواج والطلاق والبيع والشراء والإيجار، فللمسلمين كامل الحرية في عرض قضاياهم، إما على القاضي المالكي أو القاضي الحنفي، وأما فيما يتعلق بالقضايا الجنائية، كالخيانة والتآمر والقتل والسرقة، فتوكل إلى الدايات أو البايات⁽⁶⁾.

¹. مؤيد محمود حمد المشهدي وسلوان رشيد رمضان، المرجع السابق الذكر، ص 421.

². ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، (العهد العثماني)، 1984م، ص 14.

³. مولود قاسم نايت قاسم، المرجع السابق الذكر، ص 289.

⁴. ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق الذكر، ص 15.

⁵. حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق الذكر، ص 72.

⁶. عمار بوحوش، المرجع السابق الذكر، ص ص 70 - 72.

ج- على المستوى الاجتماعي:

- الكتاتيب: كانت الكتاتيب - في العهد العثماني بالجزائر - منتشرة في كامل التراب الوطني، حيث يحقّظ فيها الأطفال القرآن الكريم، ويتعلمون فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب. حتى أن جميع الأطفال كانوا قد مروا على المدرسة الابتدائية (الكتاتيب)، وأن النصف من السكان الذكور، كانوا يعرفون القراءة والكتابة⁽¹⁾.

- المساجد: اشتهرت فترة العهد العثماني بالجزائر بكثرة المساجد، حتى لا تكاد تخلو قرية أو حي من مسجد، وتفردت كل مدينة بجامعها الأعظم الذي كان بمثابة معهد للتعليم، فقد كان هناك الجامع العظيم بقسنطينة وجامع تلمسان وجامع بجاية، كما وُجد الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، الذي كان يعتبر مركزا للنشاط الديني والقضائي، ومقرا للإفتاء ومنبرا لمناظرات العلماء، والفصل في بعض القضايا⁽²⁾.

- الزوايا: انتشرت بكثرة في العهد العثماني، ففي مدينة الجزائر عرفت كثيرا من الزوايا، وصل عددها في عام 1830م إلى 12 زاوية، أما مدينة قسنطينة، فقد وصل فيها عدد الزوايا إلى 16 زاوية، كما بلغ العدد في تلمسان إلى أكثر من 30 زاوية، وفي منطقة القبائل إلى 50 زاوية، وغيرها من الزوايا الأخرى التي كان لها دور بارز في مجال التعليم، ونشر الدين والفصل في القضايا الدينية والمدنية، وتوطيد الروابط والعلاقات الاجتماعية وانتشار الطرق الصوفية⁽³⁾.

- المدارس: تميز العهد العثماني في الجزائر بكثرة المدارس وانخفاض نسبة الأمية، فمدينة الجزائر كانت تضم لوحدها 229 مدرسة، ويدرس بها 5583 تلميذ، وكان عدد المدارس بمدينة قسنطينة 86 مدرسة، يدرس بها 1350 تلميذ، وفي مدينة تلمسان بلغ فيها عدد المدارس إلى 50 مدرسة صغيرة، خصصت لـ 12000 أو 15000 نسمة، كما أُسست بمدينة معسكر المدرسة المحمدية، والتي مثلت أكبر مدارس بايلك الغرب، وخلال نهاية القرن 16 تم تشييد مدرسة مازونة، والتي كانت مقرا للمبادرات الفكرية وملتقى للعلماء، ومجالا لعلم الحديث والفقه ولعلم الكلام⁽⁴⁾.

¹. رشيدة شدرى معمر، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830، 2016، ص 92.

². المرجع نفسه، ص ص 93 - 94.

³. المرجع نفسه، ص ص 97 - 98.

⁴. المرجع نفسه، ص ص 99 - 100.

- الرباط: هي معاهد دينية تشبه الزوايا، وقد اهتم بها العثمانيون لأجل الجهاد، وتحرير مدن الغرب الجزائري من الاحتلال الإسباني، حيث كان لها الدور الكبير في تحرير مدينة وهران من الخطر الإسباني⁽¹⁾، عام 1792 م⁽²⁾.

- المعمرات: هي عبارة عن معاهد دينية تشبه الكتاتيب القرآنية أو الزوايا غير الخلواتية، نشأت لتعليم القرآن ومختلف العلوم، كثيرا ما كانت تؤازر الرباط في الحرب، وقد انتشرت هذه المعاهد في البوادي في منطقة القبائل، وخاصة بعد أن تعرضت للاحتلال الإسباني⁽³⁾.

- المكتبات: كانت الجزائر في هذه الفترة تحوي العديد من المكتبات العامة والخاصة، فقد وصل عدد المكتبات في تلمسان ومعسكر ومازونة إلى 20 مكتبة، كذلك حوت مكتبات مدينة قسنطينة العديد من كتب الأندلسيين والمشاركة، ووجد بالمدينة 17 مكتبة خاصة، كما أن العثمانيين أنفسهم حملوا معهم مكتباتهم الخاصة إلى الجزائر⁽⁴⁾، وقد احتوت مكتباتهم العديد من كتب الفقه الحنفي، كتب التفاسير، نسخ صحيح البخاري، كتب الأصول والتوحيد، كتب العلوم العقلية وعلوم اللغة، الكثير من المخطوطات، وكتب الأدعية والأذكار الصوفية⁽⁵⁾.

- مؤسسة الأوقاف (الأحباس): كان الموظفون (الوكلاء أو النظار) في مؤسسة الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني، يُعيّنون من طرف الباشا أو السلطة القضائية، وكان دورهم جمع المداخيل ودفع أجور العمال وصيانة وإصلاح المرفق، وقد كانت هناك العديد من الأوقاف، كأوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)، والأوقاف الخاصة بأسر أهل الأندلس نشأت عام 1572 م، حيث تجاوزت 100 وقف، ومؤسسة سبل الخيرات، وهي تضم 14 من المساجد الحنفية، ومؤسسة أوقاف الأشراف، وتحوي 300 أسرة من أشراف مدينة الجزائر، حيث تسعى إلى إعانة الفقراء والمحتاجين، والتخفيف من مشاكلهم الاجتماعية⁽⁶⁾.

¹. المرجع نفسه، ص 101.

². أرزقي شويتام، المرجع السابق الذكر، ص 15.

³. رشيدة شدرى معمر، المرجع السابق الذكر، ص 101 - 102.

⁴. المرجع نفسه، ص 102 - 104.

⁵. حمد المشهداني ورمضان، المرجع السابق الذكر، ص 438.

⁶. المرجع نفسه، ص 430 - 433.

2.3 أهمية الوجود العثماني بالجزائر:

لقد ساهم العثمانيون في المحافظة على عروبة وإسلام الجزائريين، حيث كان لهم الدور الكبير في مواجهة الغزو الصليبي الاستعماري الغربي لبلدان شمال إفريقيا، وخاصة الجزائر وطرابلس، والمحافظة على إسلام وعروبة سكان هذه البلدان⁽¹⁾. لذا لا ننظر الدول العربية إلى العثمانيين على أنهم كانوا غزاة محتلين لأراضيها، إنما تعتبرهم أبطالاً ساعدوها في التخلص من هيمنة الأوروبية. فبعد أن كسر العثمانيون دولة بيزنطة، ووحّدوا راية المسلمين ضد التوسع الغربي المسيحي، ووقفوا سداً منيعاً ضد التوسع الأوروبي لأربعة قرون من الزمن، استطاعوا بفضل ذلك أن يكسبوا ثقة العرب والمسلمين. لهذا، اعتبر عمار بوحوش أن العثمانيين كانوا منقذين وليسوا مستعمرين، بدليل أن الجزائر قد شعرت بالاطمئنان والأمان، بعد أن دخلت تحت راية الدولة العثمانية القوية⁽²⁾.

كما أكد صلاح العقّاد، على أن التواجد العثماني في الجزائر وتونس لم يكن غزواً عسكرياً، وإنما هو محصلة للصراع المحتدم بين الإسلام والمسيحية، في أوائل القرن السادس عشر في الجهة الغربية للبحر المتوسط، لذلك يُعتبر عروج وخير الدين أبطالاً وطنيين في نظر المسلمين، بينما يعتبرهم الخصومُ بحارةً قراصنةً، لا يخضعون لأي نظام ولا قانون⁽³⁾. كما يميل الباحث عمار عمورة إلى هذا الاتجاه، حيث يرى أن الجزائر لم تكن لتشهد وجوداً تركياً على أراضيها، لولا الغزو الإسباني لها⁽⁴⁾.

ويرى الدكتور إسماعيل أحمد ياغي، على أن الوجود العثماني في بلدان الشمال الإفريقي لم يكن بتدخل مباشر من حكومة استانبول، ولا بمعارك حربية، بل جاء خلال استنجد سكان هذه الأقاليم (وخاصة الجزائر وطرابلس) بالدولة العثمانية، لإنقاذهم من الزحف الغربي الأوروبي الصليبي. والدليل على ذلك -في نظره-، هو أن الدولة العثمانية بعد أن ضمت الدول العربية تحت سيادتها، حافظت على المقومات الأساسية لهذه البلدان، كالدين الإسلامي، واللغة العربية، والعادات والتقاليد، والثقافة العربية الإسلامية، وكوّنت

¹. أحمد إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. ب ت ن، ص ص 237 - 241.

². عمار بوحوش، المرجع السابق الذكر، ص ص 51 - 52.

³. صلاح العقّاد، المرجع السابق الذكر، ص 18.

⁴. عمار عمورة، المرجع السابق الذكر، ص 88.

بين هذه الدول والشعوب وحدة عربية، فلم تلجأ لإقامة حدود مغلقة ولا حواجز مصطنعة، بل تركت لسكان هذه البلدان الحرية في العيش والسفر والتنقل، والعفوية في ممارسة النشاط الاقتصادي والثقافي. -فقط- كان تدخلها يسيرا في شؤون الحكم، كتوفير الأمن، والإشراف على القضاء، وإقامة الشعائر الدينية والمحافظة على المبادئ الإسلامية وتنظيم الحج، وجمع الضرائب. وعلى هذا الأساس ارتبط العنصر العربي بالحكم العثماني، حتى أصبح المسلمون العرب ينظرون إلى السلطان العثماني باعتباره خليفة للمسلمين، يوالون من ولاءه ويعادون من عاداه، وظلّت هذه القناعة الدينية والسياسية راسخة في أذهان الكثير من الشعوب العربية حتى أوائل القرن العشرين⁽¹⁾.

ويؤكّد العلامة عبد الرحمان بن محمد الجيلالي على إيجابية الوجود العثماني بالجزائر، بقوله "وقد منّ الله على أهل الجزائر وأولاهم بمن يدافع عنهم ويرد صولة هذه الاعتداءات الانفرنجية ويفلّ سلاحها، وذلك بإلهامهم إلى الالتجاء إلى الأمير البحري أروج بن يعقوب المدلي التركي وأخيه خير الدين المتجولين بمراكهما القرصنية بهذا البحر الأبيض المتوسط، وقد أظهرتا من البطولة الخارقة والغيرة الإسلامية على أهل الجزائر والأندلس ما يسجله التاريخ لهما بأفخر الذكر وجزيل الشكر، فكان إنقاذ الموقف بمقاومتها العنيفة لهؤلاء المغيرين من الأسبان وغيرهم من الدول النصرانية، ودفعهما عن الجزائر كل ما كانت مهددة به من الأخطار"⁽²⁾.

"ومن هنا كانت الخلافة العثمانية تمثل العقد الذي تنتظم فيه البلاد الإسلامية ودولها، في ظروف الشدة، في مواجهة تكتل النصرانية تحت إشراف البابا. ولم يكن للجزائر من تبعية للخلافة العثمانية، ولا من جزئية منها، إلا بهذا المعنى، كأغلب البلدان والدول الإسلامية الأخرى: طاعة روحية، وتضامن عسكري، أمام الدول النصرانية المنضوية تحت السلطة الروحية للبابا"⁽³⁾.

¹. أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق الذكر، ص 237 - 238.

². عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 1965، ص 221.

³. مولود قاسم نايت قاسم، المرجع السابق الذكر، ص 294.

وعليه، فإن الوجود العثماني في الجزائر كان سببه الاحتلال الإسباني، وأن السكان الجزائريين، هم من شجّعوا على ذلك، ورضوا بالدخول تحت الحكم العثماني، رغبة منهم في أن يعيشوا في سلام وأمان تحت السلطنة العثمانية.

الخاتمة:

لقد شهدت الجزائر أواخر القرن الخامس عشر، ومطلع القرن السادس عشر ظروفاً متدهورة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، استغلّها الإسبان لأجل شنّ حملتهم الصليبية، وتحقيق مطامعهم الدنيوية، مرتكبين من أجل ذلك أبشع الجرائم والممارسات، والاستيلاء بعدها على مدن وشواطئ الجزائر.

إن السياسة الاستعمارية التي انتهجها الاحتلال الإسباني على الجزائر، فرضت على الأهالي الجزائريين الاستنجد بالأخوين التركيين عروج وخير الدين، ثم الانضمام بعد ذلك تحت الراية العثمانية، من أجل تحرير المدن الجزائرية، واستنقاذهم من الخطر الإسباني.

لذا، فإن الوجود العثماني بالجزائر خلال هذه الفترة الحاسمة، كانت تداعياته إيجابية على الجزائر، بدليل أن الجزائر ازدهرت في العديد من المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنّها تمكّنت من صدّ الحملة الإسبانية الصليبية، والوقوف في وجه التبشير المسيحي، والأطماع الأوروبية الغربية، وبالتالي استطاعت أن تحافظ على هويتها العربية والإسلامية.

بناءً على ما تم استخلاصه واستنتاجه حول موضوع الوجود العثماني في الجزائر ودوره في صدّ الحملة الإسبانية الصليبية، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات التالية:

- الاستزادة في استقراء تاريخ الجزائر القديم والحديث والمعاصر.
- التحقيق والتنقيب في مختلف مواضيع تاريخ الجزائر العام، وخاصة تلك التي كثر حولها الاختلاف بين المؤرخين.
- العناية بتاريخ الحكم العثماني في الجزائر، وإعطائه مزيداً من الاهتمام العلمي والأكاديمي، وخاصة على مستوى التظاهرات العلمية.
- على المسؤولين الحكوميين أن يولوا أهمية كبيرة لتاريخ الجزائر، وأن يفرسوا في الجيل الحاضر أمجاد الأسلاف والأجداد.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

1. التز، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، بيروت: دار النهضة العربية، 1989.
2. العسلي، بسّام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470 - 1547م، ط3، سلسلة جهاد الشعب الجزائر(1)، بيروت: دار النفائس، 1986م.
3. العقّاد، صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ط6، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.
4. المدني أحمد، توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492 - 1792، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ب ت ن.
5. أندري جوليان، شارل، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ترجمة: محمد مزالي، و البشير بن سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983.
6. بن عثمان خوجة، حمدان، المرأة، الجزائر: منشورات anep، 2006.
7. بن محمد الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، ط2، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965.
8. بن محمد الملي، مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ط3، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، ب ت ن.
9. بوحوش، عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.
10. بوعزيز، يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، الجزائر الحديثة، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009م.
11. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا (64-897هـ/683-1492م) دراسة نصوص، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986.
12. حمد المشهداني، مؤيد محمود، و رشيد رمضان، سلوان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 - 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 05، العدد 16، أفريل، 2013.
13. سعيدوني، ناصر الدين، بوعبدلي، الشيخ المهدي، الجزائر في التاريخ، (العهد العثماني)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
14. شدري معمر، رشيدة، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518 - 1830، مجلة معارف، العدد 20، جوان 2016.
15. شويتام، أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800 - 1830، الجزائر: دار الكتاب العربي، (2011).
16. عبد القادر، نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، الجزائر: دار الحضارة، (ب ت ن).
17. عمورة، عمار، موجز في تاريخ الجزائر. الجزائر: دار ربحانة، 2002.
18. فارس، محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، 1969.

19. نايت قاسم، مولود قاسم، شخصية الجزائر الدُوليّة وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط2، الجزء الثاني، الجزائر: دار الأمة، 2007.
20. هلايلي، حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، عين مليلة (الجزائر): دار الهدى، 2008.
21. وولف، جون بابتست، الجزائر وأروبا 1500 - 1830، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: عالم المعرفة، 2009.
22. ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، (ب ت ن).

باللغة الأجنبية:

1. DUVAL, Jules. (1859). l'Algérie: Tableau Historique, Descriptif et Statistique, avec une carte de la colonisation Algérienne. Paris: librairie de l'Hachette.